

العتبات النصية في كتاب التذكرة السعدية في الاشعار العربية لمحمد بن عبد الرحمن العبيدي

(من رجال القرن الثامن الهجري)

طالبة الماجستير. سارة عباس هادي

Sar22w5003@uoanbar.edu.iq

أ.د. نصره احميد جدوع

nasra.jadwe@uoanbar.edu.iq

جامعة الانبار/ كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

الملخص:

تمثل العتبات النصية مداخل النص التي يلج من خلالها القارئ الى عالم النص، وهناك طروحات نقدية تتعلق بها وبطريقة ارتباطها بالنص، ربما استندت اغلبها الى دراسة جيران جينيت، وهذه الدراسة تحاول تطبيق منهج جينيت الخاص بالعتبات على احد كتب الاختيارات المهمة والمؤلف في القرن الثامن الهجري، وهو كتاب التذكرة السعدية في الاشعار العربية لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن العبيدي، ولضيق مساحة البحث اخترنا نوعين من العتبات لدراستها وهي عتبة العنوان (الرئيسي والعناوين الداخلية) وعتبات النصوص الشعرية التي اكتسبت الدراسة عندها الدراسة عمقا منهجيا لمفهوم العتبة النصية، وقد اظهرت الدراسة وجود انساق مضمنة في تلك العتبات ، بدأت بالعنوان الذي تم اختياره بقصدية ، كما ظهرت الانساق المضمنة في نوعية النصوص التي جاءت اصلا ضمن نسق الاختيارات القائمة على الذوق الشخصي، سواء على مستوى الحماسات التي ضمتها التذكرة وهي حماسات ابي تمام والعسكري وابن فارس، أو على مستوى اختيارها من قبل المؤلف ، الى جانب اختياراته في النصوص التي اضافها الى متن التذكرة. ولخصوصية النص الشعري العربي القديم وعمقه حاولت الدراسة البحث عن انساق المعنى المضمن وفقا لمستويين من المعنى هما: المعنى العام للنص (الغرض) الذي يوازي الباب هنا، والمعاني الداخلية التي انطوى عليها تشكيل الصورة في النص.

الكلمات المفتاحية: (العتبات النصية، النسق المضمن، العنونة).

Extual thresholds in the book Al-Tadhkira Al-Saadiyya in Arabic poetry

by Muhammad bin Abdul Rahman Al-Ubaidi

(from the men of the eighth century AH) Prepared

Master's student Sara Abbas Hadi

Sar22w5003@uoanbar.edu.iq

Supervisor: Prof. Dr. Nasra Ahmed Jadwe

nasra.jadwe@uoanbar.edu.iq

**University of Anbar / College of Education for Girls / Department of
Arabic Language**

Abstract:

Textual thresholds represent the entrances of the text through which the reader enters the world of the text. There are critical proposals related to them and the way they are related to the text, most of which were perhaps based on the study of Gerard Genette. This study attempts to apply Genette's method of thresholds to one of the important books of selections written in the eighth century AH, which is the book "Al-Tadhkira Al-Sa'diya fi Al-Ash'ar Al-Arabiyya" by its author Muhammad bin Abdul Rahman Al-Ubaidi. Due to the limited space of the research, we chose two types of thresholds to study, which are the threshold of the title (main and internal titles) and the thresholds of poetic texts, at which the study gained a methodological depth for the concept of the textual threshold. The study showed the existence of systems embedded in those thresholds, starting with the title that was chosen intentionally. The implicit systems also appeared in the type of texts that originally came within the system of selections based on personal taste, whether at the level of the enthusiasms included in the reminder, which are the enthusiasms of Abu Tammam, Al-Askari and Ibn Faris, or at the level of their selection by the author, in addition to his choices in The texts he added to the text of the memorandum. Due to the specificity and depth of the ancient Arabic

poetic text, the study attempted to search for the systems of the implied meaning according to two levels of meaning: the general meaning of the text (purpose) that parallels the chapter here, and the internal meanings that the formation of the image in the text contained.

Keywords: (texte Para, implicit format, addressing).

مصطلح العتبات النصية

يعني مصطلح العتبات النصية بشكل عام الباب الاول الذي يدخل القاريء من خلاله الى النص، وقد ذكره جبرار جينيت بعدة مصطلحات موازية منها: العتبات والمناص والنص الموازي، والملحقات النمطية والمناصات، والموازيات النصية وغيرها وفق ما تمت ترجمته الى اللغة العربية، ويعني جميع العنصر التي تتداخل على حدود النص الداخلية والخارجية فتنتج دلالات جديدة (بنيس، ١٩٨٩).

ويعرفها احد الباحثين بأنها " بنيات لغوية ايقونية تتقدم المتون وتسبقها، لتنتج خطابات واصفة لها، تعرّف بمضامينها واشكالها وأجناسها، وتقنع القراء باقتنائها، ومن ابرز مشمولاتها: اسم المؤلف، العنوان، الايقونة ، دار النشر، الاهداء المقتبسة والمقدمة.." (الادريسي، صفحة ٢٠١٥)، واقرب تعريفات العتبات النصية الكثيرة الى طبيعة هذه الدراسة - بوصفها تتناول مجموعا شعريا يقوم على الاختيارات الشعرية- هو أنها: " المناص يمثل العتبات أو البوابات أو المدخل التي تجعل المتلقي عبر هذا النوع من النظر النصي يمسك بالخطوط الاساسية التي تمكنه من قراءة النص، وتأويله لأنها ترتبط بعلاقة جدلية مع النص بطريقة مباشرة أو غير مباشرة" (السعدية، ٢٠٠٩)

ومن هذه المنطلقات ستكون هذه الدراسة معنية بتتبع عتبات النص وبعض الابواب الشعرية في واحد من كتب المختارات الشعرية وهو كتاب التذكرة السعدية في الاشعار العربية لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن العبيدي الذي جمع في كتابه ثلاث حماسات هي حماسة أبي تمام، والعسكري، وأبن فارس ويضيف إليها أبوابا من اصناف الشعر المتنوعة، مما يحتاج اليها في المراسلات والمكاتبات

والمحاورات لا تدخل ضمن نمط الحماسات (العبيدي، ٢٠٠١)، ربما لترك بصمته في هذا الاختيار، ولتجاوز صنيعه ذلك الى تحكيم ذوقه الخاص أسوة بمن نقل عنهم اختياراتهم.

العتبة نسقا تمهيدياً

نسق العنوان:

يعد العنوان عتبة رئيسة ومهمّة في الإبداع الفني وواجهة للنص، وفي معرفتنا مفهوم العنوان لابدّ من التطرق إلى المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

العنوان لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور في باب العين وفي مادة (عنن): عننت وأعننته لكذا أي عرضته له وصرفته إليه وعن الكتاب يعنه عناً وعننه: كعنوان وعنوانته وعلونته بمعنى واحد (الافريقي، ١٤١٢ هـ).

وقال اللحياني: في عننت الكتاب تعيناً وعنيته تعنيه إذا عنوانته، وسمي عنواناً لأنه يعن الكتاب من ناحيته^(١) (الافريقي، ١٤١٢ هـ). وقال ابن بري: العنوان الأثر، وقال سوار بن المضرب: وحاجته دون أخرى قد سنحت بها جعلتها للتي أخفيت عنوانا

وفيما ذكروا من المعنى أن عنوان الكتاب ورد مشتقاً في مادة (عنا)، وفيه لغات: عنوانت وعنيت عننت، وقال الأخفش:

فطني الكتاب إذا أرادت جوابه وأعن الكتاب لكي يسر ويكتما.

وورد عن ابن سيدة قوله: "العنوان والعلوان سمة الكتاب، وعنوانه عنواناً وعنواناً، وعناه، وكلاهما: سمة العنوان، وقال ابن سيدة، وفي جبهته عنوان من كثرة السجود أي أثر حكاة اللحياني (الافريقي، ١٤١٢ هـ).

العنوان اصطلاحاً:

لطالما كان العنوان علامة لغوية تعلو النص لتسمه وتحدّده وتغري القارئ بقراءته ، فلولا العناوين لأغفلت كثير من الكتب وأهملت، وبقيت مكدّسة في رفوف المكتبات، فكم من كتاب كان عنوانه سبباً وجواز مرور إلى انتشاره وشهرة صاحبه؟ وكم من كتاب كان عنوانه نقمة عليه وعلى صاحبه، فأثر في مستوى التلقي عند القراء الذين عزفوا عن قراءته؟ وبناءً على ما تقدم، نقول: ينبغي

أن تصاغ العناوين عن حكمة ودراية، بعيداً عن الاعتباطية، وذلك بغية تأثير العنوان في المادة التي يحتويها، وقد عرّف (ليوهويك) المؤسس الأول والفعلّي لعلم العنوان الذي رصد العنونة رسداً سيميوطيقياً من خلال التركيز على بنائها ودلالاتها ووظائفها، وصفها بأنها "مجموعة من الدلائل اللسانية التي يمكنها أن تثبت في بداية النص من أجل تعيينه والإشارة إلى مضمونه الجمالي من أجل جذب الجمهور المقصود (الاحمر، ٢٠١٠).

ومما ذكر أعلاه يتبين أن العنوان عبارة عن رموز وكلمات توضع في بداية النص لتوضح ما يقوله النص، وتحاول أن تلفت انتباه المتلقي في حين يرى ((جيرار جينات)) أن العنوان من بين أهم عناصر المناص (النص الموازي) لهذا فإن تعريفه يطرح بعض الأسئلة ويلح علينا في التحليل، فجهاز العنونة كما عرفه عصر النهضة أو قبل ذلك، العصر الكلاسيكي: عنصر مهمّ كونه مجموعاً معقداً أحياناً مر بـ، وهذا التعقيد ليس لطوله أو قصره، ولكن مرده مدى قدرتنا على تحليله وتأويله (بلعابد، ٢٠٠٧).

بينما يرى رولان بارت "أن العناوين عبارة عن أنظمة دلالية سيميائية تحمل في طياتها قيماً أخلاقية واجتماعية وأيديولوجية، وهي رسالة مسكوكة مضمّنة بعلامات دالة مشبعة برؤية العالم، يغلب عليها الطابع الإيحائي" (الاحمر، ٢٠١٠).

نسق العنونة:

يعدّ العنوان بنية أساسية في أية دراسة تتناول الشعر والنثر بمخلف أنواعه من رواية إلى قصّة إلى مقالة، وسواء أكان العنوان داخلياً أم خارجياً، تتأثّر أهميته البالغة من كونه عتبة دخول إلى النص، والغوص في مضموره، استكشافاً للمعنى والدلالة، فهو رمز يحدّد مدلول النص ويعبر عن مكنونه، ويعلن أسرارهِ وكوامنه، ومع هذا فإن العنوان "غير ملزم على مستوى التركيب بقاعدة تحدد شكله، فتارة يكون كلمة أو يكون مركباً أو جملة وقد يكون أكثر من جملة" (العبيدي ع، ٢٠٠٩). و يعتمد هذا على ما يراه الكاتب مناسباً لكتابته، أو روايته، وكون العنوان العتبة الرئيسية للنص، فعند قراءته يجول في ذهن القارئ تساؤلات عدّة تقضي به إلى معرفة العنوان وتحليل وفهم بنيته من خلال وصفه بأنه منطقة نصية رخوة (حسين، ٢٠٠٨).

تحتوي مجموعة ألفاظ لها وظائف معينة بحسب السياق المعجمي والدلالي لها، "وكذلك فإن قراءة بنية العنوان تتم بشكل تجزيئي، ويتم التعامل معها من حيث هي مدونة، أو نص مصغر يخضع في فهمه، وتأويله لما يمكن أن تخضع له أية بنية لغوية في نظامها النحوي والبلاغي والدلالي" (بازي، ٢٠١٢)، وبهذا تكون مدركة عند التلقي وذات معنى مفهوم، وعليه فإن التمعن في العنوان وضبطه يعيدان أمراً مهماً، ولابد للقارئ من الغوص في مكنونه ومعرفة ما يحاك في طياته، وهذا ما يقودنا إلى تحليل وفهم وإدراك مكونات عنوان الكتاب الذي يمثل أرضية هذه الدراسة، وهو (التذكرة السعدية في الأشعار العربية) وتحليله من جميع النواحي والمستويات الدلالية والتركيبية والنحوية والسياقية كما سيرد.

العنوان في الغلاف من منظور الجملة في العربية:

للعنوان أهمية كبيرة من منظور الجملة الاسمية والفعلية؛ فمن منظور الجملة الاسمية للعنوان دلالات تركيبية ولغوية ودلالية، أما الدلالة التركيبية فهي مكونة من مبتدأ (التذكرة) مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وصفة مرفوعة بالضمة (السعدية) لأن الصفة تتبع الموصوف (الزمخشري، ١٩٩٣). وأما خبر المبتدأ (في الأشعار العربية) فمكون من حرف جر (في) واسم مجرور (الأشعار) ومضاف إليه (العربية) وشبه جملة في محل رفع خبر، وهذه العلاقة التركيبية متلاحمة لا تكاد تنفك عن بعضها، فهي متعلقة بالمسند والمسند إليه.

وكون العنوان جملة اسمية فهي مكونة من مفردات ذات دلالة معينة خبرية فلا بد من وجود علاقة بين مفردات العنوان، فـ "العلاقة بين الدلائل المكوّنة للعنوان وبين الأشياء التي تحيل إليها، لا تكون مباشرة ولكنها تتحقق بواسطة أثر المعنى الذي تحيل إليه دلائل العنوان، فدلالة الشي في الرواية تدل على الواقعية، وتشفر بدلالات نفسية واجتماعية" (نوسي، ٢٠٠٢).

وعند النظر في العنوان الرئيسي من ناحية التركيب يبدو أنه عنوان متكامل -جملة اسمية متكاملة - تدل على الثبوت، أو أنها تضمّر في طياتها أنساقاً ثقافية. فعناصر الجملة الأساسية يتمحور فيها إضمار وهو الخبر المبتدأ (التذكرة) المحذوف وتقديره مستقر أو كائن، وهذا عند بعض النحاة ومنهم سيبويه (عقيل، ١٩٨٠)، هذا من ناحية مستوى التركيب لمفردات هذه الجملة.

العنوان من منظور المعنى:

تتفرد العبارات المكوّنة للعنوان حدّاً الاستقلال؛ مفردة (التذكّرة) تحيل إلى معنى خاص يشي بالتذكّر والتذكّار والذكرى، ومفردة (السعدية) نستطيع اشتقاقها من السعد والسعادة الملحقه بياء النسبية، أما شبهه الجملة (في الأشعار العربية) فتحمل معنى خاصاً بها أيضاً، وهو أن الأشعر العربية بمختلف العصور هي المحور، وأنها محتوية التذكّرة السعدية ومستوعبها، وباجتماع تلك المفردات وتفاعلها مع بعضها تتكوّن دلالة جديدة في نسق معيّن، ومعنى واحد عبر عن مكنون ما في الكتاب؛ فالجملة الاسمية التي كوّنتها هذه المفردات مجتمعة كوّنّت مدلول خبري إسنادي.

ومن جانب الدلالة المعجمية لمفردات العنوان فإننا نلاحظ ابتداءه بلفظة (التذكّرة)؛ وهي مشتقة من الفعل (ذَكَرَ) مضارعه: (يَذْكُرُ)، ومنه؛ (الذِكر) و(الذكرى) و(الذكرة) ضد النسيان. تقول: ذكرته ذكرى غير مجرّاة، واجعله منك على (ذكر). و(ذُكر) بضم الذال وكسرهما، ويأتي الذِكر بمعنى الصّيت والثناء، ومنه قول الله تعالى "ص والقرآن ذي الذكر" (ص: ١)؛ أي ذي الشرف، ومنه ادّكر كقوله تعالى: "وادّكر بعد أمة" (يوسف: ٤٥).

(ادّكر) بعد أمة ذكره بعد، و أصله (اذتكر) فأدغم، و(التذكّرة) ما تستذكر به الحاجة (الرازي، ١٩٩٩)، "ومنّه يقال: امرأة مذكّار، وقد أدّكرت وفي الدعاء للمطلوقة (أيسرت وأدّكرت) أي يسر عليها وولدت ذكراً" (الزمخشري ١، ١٩٩٨).

إذن فكلّمة تذكّرة تحمل في طياتها معانٍ عدّة؛ منها قديمة ومدارها ضد النسيان أو العبرة، ومنها مستحدثة لها استخدامات شتى على وفق مقتضى الحال، فتارة تكون تذكّرة ركوب وتارة بطاقة شخصية... الخ.

وتكاد تكون كلمة التذكّرة في الكتاب "أقرب إلى أن تدل على مقيدات مرسلّة لا يضبطها ضابط، تقف فيها الموعظة إلى جانب النادر، إلى جانب الفائدة العلمية، إلى جانب التجربة الذاتية" (البغدادي، ١٤١٧هـ).

وفي سبر معرفي علمي فكري لكثير من الكتب والمراجع العربية التي غُنيت بجمع الأشعار يحضر أمر لا بد من ذكره، وهو أن كتاب (التذكّرة السعدية في الأشعار العربية) لم يكن وحيد التسمية، ولم ينفرد بألفاظه ومفرداته عن غيره من الكتب في شتى المجالات؛ فهناك مؤلفات حملت في غلافها

لفظة (التذكرة)، ومن تلك المؤلفات (التذكرة الحمدونية) لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي (المتوفى ٥٦٢ هـ)، و(التذكرة للصاحب بهاء الدين المنشئ الأربلي)، و(التذكرة الصفدية) لصلاح الدين الصفدي، و(التذكرة الهادية) لإبراهيم بن علي بن طرخان الأنصاري وغيرها من الكتب، فلم يقتصر الأمر بوجود لفظة تذكرة في كتاب التذكرة السعدية فحسب (كفافي، ٢٠٠٨)

لفظة (تذكرة) شائعة، ومعروفة ودارجة على السنة العامة والخاصة، وقد أوضحنا أغلب المعاني التي تحملها لفظة (تذكرة) وبالعودة إلى تاريخ تأليف الكتاب أي إلى النصف الأول من القرن السادس الهجري والنظر إلى مضمون الكتاب الذي يضم، وفقد ما أشار مؤلفه، ثلاث حماسات، هي؛ حماسة أبي تمام، وحماسة ابن فارس، وحماسة العسكري (المفقودتان)، إلى جانب كون شبه الشعراء المجهولين الذين وردت فيها هي ٥٠٪، ونسبة المقلين والمغمورين ٢٠٪، مع ما يتميز به هذا العصر من ظهور أشكال شعرية جديدة وتصرف واسع في بنية القصيدة العربية القديمة، وتبدل ملامحها كل ذلك يحيل إلى مضمون كلمة (التذكرة) التي يحاول المؤلف منها استرجاع التراث الشعري العربي الأصل، وهي الفكرة نفسها التي قام عليها منهج الحماسات التي تمثل المختارات (العبيدي م، ٢٠٠١).

أما الدلالة اللغوية والمعجمية لمفردة (السعدية) فتتحو بنا مناحي عدة؛ أهمها: أنها كلمة مؤنثة مشتقة من مادة (سعد)، والسَّعد هو نقيض النَّحس ونِدَّة في الأشياء، تقول: يوم سَعد ويوم نحس، وسعد فلان يسعد سعداً وسعادةً، فهو سعيد، ويجمع على سعداء، نقيض أشقياء، ومنه سعيد الأرض أي النهر الذي يسقيها (الأفريقي، ١٤١٢ هجرية) فابن فارس في كتابه العين يقول: "السين والعين والذال أصل يدل على خيرٍ وسرور، خلاف النَّحس، والسَّعد: اليُمن في الأمر" (القزويني، ١٩٧٩)، وكون العنوان تعبيراً لغوياً يحمل معنى فهو نص بالضرورة (جدوع، ٢٠٢٣)

ومن الجانب النحوي والتركيب، فنلاحظ أن كلمة (السَّعدية) صفة لكلمة (التَّذكرة)، فورودها صفة يظهر لنا حال الكاتب وسعاده في تأليف كتابه، فكلمة التذكرة جاءت مسندة إلى لفظة (السعدية)، وفي تعمُّق بأصل التسمية، وإمعاناً بالنظر في عنوان الكتاب لملاحظة أصل التسمية والسبب فيها، يطالعنا الخبر الآتي: تمت تسمية الكتاب نسبة إلى الملك الذي ألفت لِتُهدى إليه، كون

زمن الكتاب قد اشتهر فيه التأليف والإهداء للوزراء والأمراء، وقد وصفه مؤلف الكتاب بأوصاف عدّة منها (سعد الحقّ والدُّنيا والدِّين) و(الصاحب ابن الصاحب)، و(أصف الزمان) وغيرها من صفات الإكبار والإجلال، ولكنه لم يصرّح باسمه (العبيدي م.، ٢٠٠١)

وفيما يبدو أن كلمة السعدية مشتقة من اسم الملك الذي يظهر أن اسمه (سعيد أو سعد أو سعدالدين أو أبو سعد...) ونحوه مما يتعلق بلفظة (السعدية) في مقدمته إذ يقول: (العبيدي م.، ٢٠٠١)

هَمَامٌ لَهُ فِي مَرْتَقَى الْمَجْدِ مَصْعَدٌ	يَلُوحُ بِهِ الْعَيُّوقُ فِي ثَوْبِ حَامِدٍ
كِرِيمٌ حَبَاهُ الْمُشْتَرِي بِسَعُودِهِ	فَأَصْبَحَ فِي الْأَفَاقِ بَكْرٌ عَطَارِدٍ
فَلَا زَالَ فِي ظِلِّ السَّعَادَةِ رَافِلًا	يَحُورُ جَمِيعُ الْفَضْلِ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ

ويظهر لنا أن الكتاب أُلِف وأُهدي للصاحب ابن الصاحب محمد بن إسماعيل بن أبي سعد المصري المتوفى (٧٠٤هـ)، فهو وزير ابن وزير وعالم ابن عالم، وكان ذا صوتٍ سياسي أيام دولة الملك السعيد ملك ماريدين، ولكن الذي يفتح باب الشك في هذا هو دعاء المؤلف للشخص الذي أُلِفَت له ولوالده بالبقاء، ووالد الصّاحب (محمد بن إسماعيل) قد توفي سنة (٦٧٣هـ)، أي قبل الانتهاء من كتابة التذكرة وزمانها (٧٠٢هـ). على الرغم من أن التصريح باسمه غير موجود في التذكرة وإنما ذكرت صفاته، وكذلك مفردة (السعدية) حملت في طياتها أنساقاً ثقافية مضمرة يدور أغلبها حول السعادة والسعد.

أهمية العنوان في النص:

تتأتى أهمية العنوان من اتخاذه مكانه بارزة وكبيرة في الدراسات النقدية، فهو -على الرغم من كونه عبارة عن نص صغير- يحمل في طياته معنى عميقاً لما يندرج تحته، فهو بمنزلة العتبة الأولى التي يقف عليها القارئ؛ لهذا أولى النقاد له أهمية كبيرة، واهتم به الكتاب أولاً وأطالوا الوقفة عنده، فللعنوان أهمية بالغة من ناحية علاقته بالنص؛ لهذا ازداد الوعي نحوه ويرجع الباحث (علي جعفر العلاق) ذلك إلى سبب مهم وهو "كون علاقته بالنص أصبحت بالغة التعقيد وإلى امتلاكه طاقة توجيهية" (العلاق، ١٩٩٧).

وتكمن أهمية العنوان في كونه مؤشراً ووسيلة تعريف، وهو أشبه ما يكون ببطاقة هوية، وغالباً ما يكون بصفة اللوحات الإشهارية الخاطفة، لاسيما عندما يكون براقاً خاطفاً مغرياً، يصنع دعائية كبيرة لذلك الإنتاج (ملاحي، ٢٠١١)، كما تكمن أهميته فيما يثيره من تساؤلات عند القارئ لا يكاد أن يلقى لها إجابة إلا مع نهاية العمل (حمداوي، ١٩٩٧)، فهو مصدر إلهام القارئ؛ إذ يثير لديه عدة تساؤلات يحاول إيجاد الإجابة عنها، مما يستدعي من القارئ الغوص في بحار النص، ومعرفة كوامنه. إنه واجهة النص يهدف إلى شدّ انتباه القارئ على اعتبار ان يسميه مصاحبة للعمل الأدبي ومؤشراً عليه (حليفي، ٢٠٠٥).

وعلى الرغم من كونه نصاً صغيراً فهو يسمي النص، ويعيّنه ويصفه ويثبته ويؤكّده، ويعلن مشروعيته القرئية، وهو الذي يحقق للنص انسجامه واتساقه وتشاكله ويزيل عنه كل غموض وإبهام (حمداوي، ١٩٩٧).

والى جانب ما سبق فإن له وظائف متعددة ومتنوعة يحددها أحد الباحثين بالقول: "الوظيفة الإحالية والمرجعية، والوظيفة الانفعالية والتأثيرية، والشاعرية والتوصيلية والميتا لغوية وإغواء وإثارة القارئ وشدّ انتباهه، والوظيفة الأيديولوجية والتفكيكية وغيرها من الوظائف" (بسودي و حفصة اولاد بن سعيدة، ٢٠١٨)، وعدّه بعض الباحثين بمنزلة شفرة رمزية تصادف القارئ، وظيفته التعيين، والإعلان عن المحتوى (قطوس، ٢٠٠١).

وليس عبثاً أن أولى الباحثون العنوان أهمية بالغة، وأفردوا له بحثاً خاصة به، وبينوا فيها أهميته، ووظائفه، وعلاقته بالنص وكيفية تعبير العنوان الخارجي عن المحتوى الداخلي للنص، وانعكاس النص على العنوان. ومن هذا المنطلق سعت هذه الدراسة إلى بحث العنوان باعتبار حمّال معانٍ ودلالات ترتبط بمقاصد التأليف وطبيعته العصر الذي أُلّف فيه الكتاب.

عتبات النص الشعري في بعض نماذج التذكرة:

ان النص الشعري خطاب ثقافي، وليس بنية لغوية فحسب، أسهمت معطيات الواقع الثقافي في إنتاجه، ونسجته أدوات الشاعر الإبداعية في سياقات متعددة مكونة أنساقاً ثقافية.

وقد تشكل دائرة المؤثرات الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية التي يقع داخلها الشاعر روابط سياقية تحدُّ من إمكانات التخطي والتجاوز الأمر الذي يدعوه أحياناً إلى الاستسلام للسياق المجتمعي، فيجلس منكفئاً على ذاته، غير مواجه للسياق الاجتماعي، غير متجاوز لمستوياته (بلال، ٢٠٠٠) لذا تتأتى أهمية العتبات من مساهمتها الكبيرة في فهم الخطاب باعتبارها مدخل كل نص، وأول ما يبصر فيه. وتلعب العتبات النصية دور عتبات الدار، فهي أول ما نمر به قبل الوصول إلى الداخل، وهي التي تتكفل بتقديم النص للقارئ دون سواها، وتكمن أهميتها "في كون قراءة المتن تصير مشروطة بقراءة هذه النصوص فكما إننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباته، كذلك لا يمكننا الدخول في عالم المتن قبل المرور بعتباته" (بلال، ٢٠٠٠).

تطالُعنا العتبات المهمة في بعض نصوص التذكرة السعدية وتأتي أهميتها في كونها عتبات مضيئة تدعونا إلى الخوض في غمار قراءة النص الشعري. تطالُعنا العتبات المهمة في بعض نصوص التذكرة السعدية وتأتي أهميتها في كونها عتبات مضيئة تدعونا إلى الخوض في غمار قراءة النص الشعري. تحضرنا بداية العتبة الشعرية في باب الحماسة والفخر نص لبشامة بن حزن النهشلي يقول فيه (العبيدي م، ٢٠٠١، صفحة ١٣):

إِنَّا مَحْيُوكُ يَا سَلْمَى فَحْيَيْنَا وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
وإن دعوتِ إلى جلى ومكرمة يوماً سراة كرام الناس فادعينا

إلى آخر القصيدة التي تبلغ أحد عشر بيتاً، نستقرئ العتبة باعتبارها مفتاحاً أولياً لسبر أغوار القصيدة، فنجدها جملة اسمية تليها جملة فعلية مشحونة بالرمزية وطرفها الأول - ذات - تعلن عن تواجدها باستخدام الضمير المتكلم "إننا" معلنة عن هويتها وكيانته بالتعريف بنفسها وهي التي ألقت التحية وطلبت من سلمى رمز الخصب والحب والجمال أن ترد التحية من الذات الأخرى وهي - سلمى - فالجملة الاسمية "إننا مَحْيُوكُ يَا سَلْمَى" تتوشح برمزية تحتاج عودة لمخيل شعري أفرز رؤية الشاعر.

جاء النص الشعري في سياق الفخر الذاتي ضمن إطار الفخر القبلي، والاعتداد بالذات الكريمة الخالدة الباقية على مَرِّ الزمن بفعل جودها وكرمها وفروسيتها. وطلبه من سمة أن تسقيهم حين تسقي

كرام الناس ليس إلا نسقاً ثقافياً ظاهراً يستبطن نسقاً مضمراً وهو الأنا العليا التي تنبئ عن فراغ ذاتي تملؤه بالمباهاة بالأصالة والفروسية والكرم (إذا سقيت كرام الناس فاسقينا).

لا يمكن اختيار المطلع الافتتاحي للقصيدة اعتباطياً، وإنما مقصود لأداء وظيفة وتحقيق مبتغى وغاية يحتاج منا إعمال فكر بوصفه، وبوسعنا أن نعتبر أن العتبات التي هي نسق تمهيدي، ليست إلا "نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاته ومحاولة فك شفرته الرامزة" (قطوس، ٢٠٠١).

وفي قصيدة للسموأل بن عاديا اليهودي، وقيل إنها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في باب الحماسة والافتخار قائلاً (ياسين، ١٩٥٥)

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللؤم عرضه فكلُّ رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يَحْمِلْ على النفسِ ضيمَها فليس إلى حسنِ الثناء سبيل
يفتح مطلع القصيدة التي يفخر فيها بنفسه وبقوته وقوة قبيلته يفتتحها بالحكمة والأمثال ليتدرج بعدها مفصلاً الذات، مبتدئاً مطلع القصيدة بالشرط غير الجازم في البيت الأول والشرط غير الجازم في البيت الثاني، وفي كلا الشرطين بعد ثقافي مضمّر نستقرؤه في جواب الشرط الذي يقر نتيجة الحدث، بمعنى أن عدم تدنيس العرض نوع من الجمال النفسي الوجودي، وبالمقابل عدم تحميل النفس ضيماً نوع من الجمال الوجودي وهذا ما يعوّل عليه الشاعر. فالشرط الذي يفتح أفق الدلالة لا يني يضمّر أنساقاً ثقافية تتقاطع فيها صورة الذات المفتخرة بذاتها؛ تتتالى الجمل الإسمية لتصف لنا بصورة غير مباشرة أن الشرف والكرامة هي رداء جميل وأن اللؤم رداء قميء وهيئة اللئيم مُدُنْسة، وأن الصبر فخار وعز وشرف وبطولة وهو الذي يُبلغ صاحبه الثناء، وفي غياب الصبر لا قيمة لصاحبه. كانت هذه المقدمة نسقاً ثقافياً ظاهراً يدعونا لاستكشاف خبايا النص الشعري الذي يبرز الذات الفتية الصبورة الموجودة رغم الفناء.

وفي نص شعري ليزيد بن الطثرية، وهو من شعراء العصر الأموي، بلغ تسعة أبيات، يظهر فيها الشاعر معاتباً محبوبته لبعده عنها، ورياح الشوق تجتابه وتنال منه، يبرز فيها محروماً فاقداً جزءاً كبيراً من كيانه يستفتحه بالمطلع الآتي (التبريزي):

أيا حُلَّةَ النفس التي ليس دونها بها من أخلاء الصفاء خليل

وياَمَن كَتَمْنَا حُبَّه، لم يُطْع به
أما من مقام أشتكي غربة النوى
أليس قليلاً نظرةً إن نظرْتُها
فديتُكَ أعدائي كثيرٌ وشقَّتِي
وَكُنْتُ إذا ما جِئْتُ جِئْتُ بعلَّةٍ
عدوٌّ ولم يؤمن عليه دخیلٌ
وخوف العدى فيه إليك سبيلٌ
إليك وكلاً ، ليس منك قليلٌ
بعيدٌ ، وأشياعي لديك قليلٌ
فأفنيْتُ علَّاتي فكيف أقولُ

تحيلنا العتبة إلى النسق المضمّر لكشفه وكشف علاقته بالوقائع والأحداث الاجتماعية الثقافية التي قادت الشاعر إلى نظم هذا النص الوجداني، وما هذه العتبة إلا صورة مصغرة لما يكتنزه النص من ثراء الأنساق الثقافية المضمرة منها خاصة، إذ يبدو أنه "نص ثقافي نسقي يتوسل بجماليات اللغة وتشكيلاتها الاستعارية المراوغة بغية بناء عوالم وفضاءات نسقية لامتناهية" (الغذامي، ٢٠٠٠). ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن النسق المضمّر في هذا النص الشعري هو ما يرمي إلى هدف الشاعر -وهو ما سنحاول إيضاحه فيما بعد في إثر تحليلنا للنصوص الشعرية الأخرى- عن طريق كيفيتين أولاهما: المنحى الأفقي وهو ما إجتحنّا تسميته بـ (النسق المضمّر الأفقي)، وهو النسق المضمّر الذي يتجلّى في الخطاب الشعري على وفق نماذجه المتعددة بتعدد مبدعيها. وثانيهما: المنحى العمودي، وهي ما إجتحنّا تسميته بـ (النسق المضمّر العمودي) وهو النسق المضمّر الذي يتجلّى في الخطاب الشعري على وفق نماذجه المتعددة أيضاً ولكن لمبدعٍ واحد. والكيفيتان مما يمكن الممازجة بينهما أحياناً وفقاً لطبيعة النسق المرصود. هذه العتبة التي تشكّل جسر عبور إلى مضمّر النص الشعري تشي بغربة الشاعر ووحدته في غياب الكل، والكل هو الذات المفقودة، ذات المحبوب، (أيا خلّة النفس) فأن تكون خلّة النفس محبوبة هذا يعني أن المحبوب قريب جداً قرب الوريد من القلب، وهو الذي كُتِم حبه، وتعمقت لواعج الحب في أعماقه.

تتكثف المعاني في البيت الأول (العتبة) لتنتشر على مساحة النص موضحة أن البعد عذاب والقرب من المحبوب حياة، فالنداء يشكل شفرة النص الثقافية التي تتوافق مع مرجعياته ومكوناته، ومعانيه وألفاظه.

وفي باب الحماسة والافتخار تحضرنا المطالع في بنيتها المضمرة، فنقف عند قول عوف بن عطية التي يقول فيها (السبتي، ١٩٩٦):

أَفِي صِرْمَةٍ عَشْرِينَ أَوْهِيَ دُونَهَا قَشَرْتُمْ عَصَاكُمْ فَانْظُرُوا عَمَّ تُقَشِّرُ
فَقَعْنُكُمْ وَلَمَّا تُدْرِكُوا مَا طَلَبْتُمْ أَلَا رَبُّ آتٍ غِيَّهَ وَهُوَ مُبْصِرُ

يتساءل الشاعر سؤالاً استنكارياً استغرابياً مضمرة كشف الآخر وإعلان ضعفه وإنهزامه، مستدعياً آلية الضعف وهي أنه أباح السر مقابل عشرين ناقة، وهو بذلك يريد ترك الآخر أياً كان؛ صديقاً أو قبيلة ينتمي إليها، فهو لا عتد بذلك والعربي كان يعتد بكرامته وكيانه ومنزلته. إذن جاء المطلع جملة إنشائية قوامها الاستفهام.

وفي مطلع آخر جاء في سياق الحماسة والافتخار جاء في سياق الإنشاء بدأه الشاعر بفعل الأمر، يقول فيه مفروق بن عمرو الشيباني (العبيدي م، ٢٠٠١، صفحة ٥٤):

سَائِلُ قُضَاعَةٍ: هَلْ وَفَيْتَ بِذِمَّتِي أَمْ هَلْ أَضَعْتُ الْعَهْدَ حِينَ وَلَيْتُ
وَلَرَبُّ أَبْطَالٍ لَقَيْتُ بِمِثْلِهِمْ فَسَقَيْتَهُمْ كَالرَدَى وَشَقِيتُ

يحضر الاستفهام في مطلع القصيدة ليتضح أنه نسق إضماري، والمضمر فيه الأنا الشاعرة المفخرة، يستدعي آخر ليثبت له مقام الأنا. يفخر الشاعر مستدعياً الآخر، ليسأل عنه وعن بطولاته وإنجازاته، لكن في وقتنا على مضمر الاستفهام الذي يحمل في طياته ذاتاً متوترة منفعلة تطلب من الآخر أن يشهد ببطولاتها.

وفي سياق آخر قال سلمى بن ربيعة في باب الحماسة والافتخار بالذات القوية في مطالع إحدى قصائده (العبيدي م، ٢٠٠١، صفحة ٣٩):

زَعَمْتُ ثُمَاضِرُ أَنْنِي إِمَّا أَمْتُ يُسَدُّ أَبِينُوهَا الْأَصَاغِرُ خُلَّتِي
تَرَبَّتْ يَدَاكِ وَهَلْ رَأَيْتَ لِقَوْمِهِ مِثْلِي عَلَى يَسْرِي وَحِينَ تَعَلَّتِي

إن النسق المضمر المتأتي من الجملة الفعلية الافتتاحية لهذا المقطع الشعري الذي اجتزأنا منه بيتين يتجلى في الزعم بالفناء أو الرحيل، ويتعمق أكثر في ثقته العالية بنفسه وتغنيه بقوته؛ يؤكد ذلك بقوله (أنني إذا ما مت). وتماضر هي المرأة التي تضر صورة العاذلة اللائمة التي لاتني تلوم الشاعر على ما قام ويقوم به، ولا تفك عن تعبيره بكبره.

ويقول سوار بن المضرب (العبيدي م، ٢٠٠١، صفحة ٤٦):

أَجْنُوبُ إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ فَوَارِسِي بالسيف حين تبادُرُ الأَشْرَارُ
سَعَةً الطَّرِيقِ مَخَافَةً أَنْ يُؤْسِرُوا والخيل تتبعهم وهم فُرَارُ

يبدأ المطلع بالنداء للمرأة جنوب، وهو نداء القريب، والنداء للقريب يضمّر أمرين؛ أولهما التودد والتحبب والتقرب، وثانيهما يريد إبراز فتوته وحماسته لمن أقرب الناس إليه. وكأننا نستشعر أو يستشعر الشاعر نفسه أنه في معرض الاتهام بأنه غير قوي فلذا يسارع لإثبات ذاته فينادي نداء القلب. إذن النداء أسلوب إنشائي ينم في استخدام الشاعر له على ذات تستشعر خطر الوجود من جهة، وذات تعاني انفعالاً وتوتراً من جهة أخرى .

وفي سياق الحماسة والافتخار تحضرنا المطالع ذات الأساليب الإنشائية المتعددة، فيحضر الشرط، والنداء، والاستفهام، والأمر، ومن الأساليب الخبرية يحضر التأكيد بالأسماء تارة والتشبيه تارة أخرى، وتحضر الجمل الفعلية لتؤكد مدى الفاعلية الكبيرة للذات الشاعرة وهي كثيرة في التذكرة السعيدية وفي معظمها كان للمرأة وجود وحضور (العبيدي م، ٢٠٠١، الصفحات ٤٨، ٥١، ٥٧، ٦١).

وفيما يخص العتبات والنص فقد ذهب يوري لوتمان في حديثه عن علاقة النص بشفرته الثقافية، درجة أنه رأى فيها علاقة ليست لازمة بالضرورة فالنص القديم مثلاً قد يحضر أمام وعي القارئ المعاصر من دون شفرته الثقافية التي تعطي له معناه المخصوص في ثقافته القديمة (كاظم، ٢٠٠٦) لكنه ليس رأياً جازماً ولا حاسماً.

وفي باب الأدب والحكم والأمثال وقع على نماذج شعرية ينحو الشاعر في مطالعها منحى البلاغة التي تضمّر أنساقاً فيها ذات دلالات، أوردتها بعض الأساليب الإنشائية أو الخبرية.

نذكر من ذلك مثلاً ما جاء في مطلع قصيدة الصمة بن عبد الله القشيري، الذي يقول (جبر، ٢٠٠٣):

أعاذل، بعض اللوم، إن منيتي لَقَدْرُ لِيَالٍ مَالِهَنْ مَزِيدُ
وإنَّ ارْتِحَالِي لَا يُدْنِي مَنِيَّتِي وَلَا مَانِعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ فُعُودُ

هو ينادي العاذلة نداء القريب والقربة هنا أو نداء القريب كان تحبباً وتودداً، لكن ما يضمّره هذا النداء المرخم للعاذلة ليس تحبباً ولا تودداً إنما جاء حنفاً وإحساساً بالقهر لأن العاذلة هنا رمز للشر والاستلاب أو رمز للزمن الذي ينحيه عن مقاصده. هو يريجوها (يرجو العاذلة) أن تخفف عنه وطأة

اللوم والعذل، هي تظهر له خوفها عليه، وهو يرد بأنه غير خائف من الموت؛ لأنه سيواجه الموت بالحياة وهي الخلود (خلود الذكر).

وفي نموذج شعري آخر لكعب بن زهير يأتي الشرط في مطلع النص الشعري مضمراً نسقه الخاص، يقول الشاعر (السكري، ٢٠٠٣):

لو كنتُ أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يفتح الشرط أفق الدلالة ليشير لنا إلى مضمّر كامن في جواب الشرط ، فسعي الفتى وجود
وحرية وحياة لأن في السعي حركة وفي الحركة الحياة .
وقال القاضي ابن معروف (الثعالبي، ١٩٨٣):

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
يوجه الشاعر خطابه مبتدئاً بالإنشاء، وهو الأمر الذي يضمّر لفتاً للنظر وإثارة للانتباه بأن أمراً
مهماً جلاً قد يحدث، وهو التنبيه والتحذير من أمر مهم وهو الحذر من الصديق أكثر من العدو، وهذا
يضمّر معاناة عاشها الشاعر في حياته.

وفي باب الأدب والحكم والأمثال نقرأ أبياتاً عدة تنصدر مطالعها القصائد بمختلف التشكيلات
الفنية والأساليب التعبيرية، ومن يتابع التذكرة السعدية يرى ذلك (العبّدي م، ٢٠٠١، الصفحات ١٢٣، ١٤٥).

وفي قصيدة له يفتتحها بالنفي يقول الشاعر أبو الفتح البستي (الخطيب و الصقال، ١٩٨٩):
لا يَسْتَحِضُّ الفتى بعده أبداً وإن كان العدو ضئيلاً
النفي هنا يضمّر تحذيراً وتخويفاً ودلالة كبيرة على تجارب عديدة خاضها الشاعر، فالعدو عدو،
وهذا يحيلنا إلى بيت عنتره العبسي الذي يقول فيه (طراد، ١٩٩٢):

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها عند القلب في أنيابها العطب
وفي باب الأدب والحكم والأمثال ورد الكثير من القصائد ذات الاستفتاحيات الإنشائية والخبرية
ولكل دلالاتها وأنساقها (العبّدي م، ٢٠٠١، الصفحات ٦١، ١٦٠، ٢٢٠، ٢٤٠).

وفي باب النسب ثمة مطلع كثيرة بأساليب إنشائية وخبرية عديدة يحضرنا منها الآن مطلع
قصيدة الحارثي، وهو مطلع بأسلوب خبري وجملة فعلية يبدأ، فيقول فيها (العبّدي م، ٢٠٠١، صفحة ١٩١):

سلبت عظامي لحمها فتركتهـا	مجردة تضحى إليك وتخصرُ
وأخليتها من مخها، فتركتهـا	أنابيب في أجوائها الريح تصفرُ
إذا سمعت باسم الفراق تقععتُ	مفاصلها من هول ما تنتظر
خُذي بيدي ثم انهضي بي تبيني	بي الضُرِّ إلا أنني أَسْتَرُّ
فما حيلتي إن لم تكن لك رحمة	عليّ ، ولا لي عنكِ صبر فأصبر
وليس الذي يجري من العين مأوها	ولكنها نفس تذوب فتقطرُ
فولله ما قصرتُ فيما أظنُّه	رضاكِ ، ولكني محبٌ مكفرُ

يشكل المطلع الوارد عبر جملة خبرية تقريرية تشي باستلاب طال الذات الشاعرة ، حتى بدت وكأنها توجه لومها وعبتها إلى من كانت سبباً في مأساتها، والتي تتلخص بالغبية والاعتراب تشكل شيفرة ثقافية للنص يحوزها القارئ الذي يباشر نقد النصوص الثقافية نقداً ثقافياً، فهو وإن كان لا يمتلك شفرة النص الثقافية، فهو يستطيع أن يتمثل شفرته، من خلال الإلمام بثقافة العصر الذي ينتمي إليه النص، وبذلك التمثل يكون قد امتلك قسطاً وافراً من الشفرة الثقافية للنص القديم، ونحن بوصفنا قراء للخطاب الشعري الذي نرى فيه مكمناً لإضمار الأنساق الثقافية المخاتلة، والتمثيلات الإحالية المتضادة، والمسكوتات اللفظية التي لم تفلح القراءة النصية التقليدية في كشفها (عليمات، ٢٠٠٩).

وفي مطلع قصيدة أخرى جاءت في باب النسيب على لسان ابن الدمينه يستفتحها مستخدماً فيها الأسلوب الإنشائي من أمر واستفهام يقول (ثعلب و حبيب):

سلي البانة الغنَّاء بالأجرع الذي	به البانُ هل حبيثُ أطلال دارك
وهل قُمتُ في أظلالهنَّ عشيَّة	مقامَ أخي البأساء واخترتُ ذلك

من الواضح أن الشاعر يقف على أطلال المحبوبة وهي الآثار الدارسة التي مرَّ عليها زمن، ويطلب من محبوبته التي غادرت سؤال الديار عن حقيقة وقفته وكثافة همه. إن ما يعيننا هنا هذا الإنشاء الطلبي الذي بدأ به الشاعر فالمضمّر منه هو أهمية المرأة التي وُجّه إليها السؤال، وهي التي وقف على ديارها يبكي، يريد أن يثبت لها أهميتها في حياته، فهي رمز من رموز الخصب والحياة. ولم يكتف الشاعر بذلك إنما امتد به إلى الاستفهام حين قال (وهل قُمتُ في أظلالهنَّ عشيَّة) فبدا كأنه يسأل نفسه إن كان قد قام في ظلال شجر البان وألقى التحية عليها وعلى الديار. إن المضمّر في هذا

الاستفهام ذاتاً تريد أن تستحضر معالم الخصب والجمال والحياة لأن شجر البان كناية عن الخصب والحياة.

قد لا تكون هناك حاجة الى الإلمام بثقافة النص القديم، والأنساق السائدة فيها قبل البدء بالقراءة الثقافية للنصوص، ونقدها نقداً ثقافياً، ولأن النص القديم حافل بالأنساق الثقافية المضمرة فإننا سننتخب من تلك الأنساق ما هو مركزي وما هو شديد الرسوخ في نصوص الخطاب الشعري الجاهلي سنمضي في كشف مظهرات هذه الأنساق في الثقافة أولاً وامتدادها الى الخطاب الشعري وتخفيها فيه ثانياً، مستدين في ذلك إلى معطيات القراءة الثقافية وعلى نشاطنا التأويلي المعزز بأدلة وشواهد من ثقافة مجتمع ذلك الخطاب الشعري وعصره وكما مر فقد برزت مطالع النسيب بكثرة استخدم فيها الشعراء مختلف الأساليب البلاغية إنشائية كانت أو خبرية، ولا يتسع لنا المجال لذكرها كلها (العبيدي م، ٢٠٠١، صفحة ٢٢٢).

مقارنة بين عتبات النصوص في بعض أبواب التذكرة السعدية :

في مقارنة العتبات الواردة في افتتاحيات القصائد بمختلف أنواعها تجلّى لنا أن لكل باب ميزة رسمتها له العتبات، في باب الحماسة والافتخار مثلاً استحضر الشاعر في جل العتبات الجمل الإنشائية القائمة على النداء أو الاستفهام، أو النفي، أو الأمر، أو الشرط وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مساعي الشاعر في إقناع الآخر بحماسته وأمر الآخر للتثبت من قوته، ونداء الآخر ليتمكن من معرفة قدراته، وسبق وأن استشهدنا على مجموعة نماذج شعرية دلت افتتاحياتها على ما سقناه، ونستشهد مرة أخرى بالشاهد الشعري الآتي لعبد الله بن عنمة الضبي (البغدادي ع، ١٩٩٧):

إن تسألوا الحقّ نعطي الحقّ سائلاً
والزّرعُ مُحَقَّبَةً، والسيفُ مَقْرُوبٌ

يبدأ هنا بالشرط، وهذا في سياق الافتخار بالذات القوية والفروسية، وذكر من لوازم القوة الدرع والسيف هنا لتأكيد فكرة القوة التي ينطلق منها قومه وهم يأخذون الامور بالعقل والروية.

وإذا ما انتقلنا إلى باب الأدب والأمثال والحكم لا نجد الأمر مغايراً كثيراً، فالمطالع تتراوح بين الخبر والإنشاء، ويتكثف الإنشاء وفق نوعية الخطاب، ويأتي الخبر أيضاً وفق ماهية التقرير الإخباري الشعري، ويحضرنا هنا أبيات نسبت إلى الشاعر الحارث بن حنظلة (العطية، ١٩٩٤):

هَوْنُ الأمرِ تعش في راحةٍ
قلّ ما هَوْنَتْ إلا سيهون

يقول الحارث أمراً طالباً من المخاطب أن هوّن الأمر، واترك جانباً كل الأمور وعش براحة بال. وعدد القصائد الطويلة في هذا الباب تبلغ حوالي (٨) ثماني قصائد ربت على السبعة أبيات، والباقي نتف ومقطعات.

أما في باب النسيب فبلغ عدد القصائد الطويلة (٤٥) خمس وأربعون قصيدة ونستطيع أن نعزو الأمر إلى الحالة النفسية التي تعترى الذات الشاعرة وهي في حالة التغزل والإثبات للذات الأخرى (المرأة) أنها تمثل الحياة بالنسبة لها، الأمر الذي يترتب عليه تحقيق السلام النفسي والسعادة الغامرة والراحة.

أما في باب المدح والاستجداء والاستعطاف والتقاضي فجاءت المطالع فيه متنوعة أيضاً لكن غلبت الإنشائية على الخبرية، ويحضرنا هنا نص لمرة بن محكان التميمي الذي يقول في مطلع (الاصفهاني، ١٤١٥هـ):

يا ربّة البيت قومي غير صاغرة ضُمّي إليك رجال القوم والقربا

جاء المطلع نداء، ونحن نعلم أن النداء نسق يضمّر أهمية الآخر. بداية جاء النداء للبعيد لأنه استخدم يا النداء، وكأنه يريد أن يفرغ عبر ألف النداء آهاته ومشاعره تجاه الآخر. ويحضر الإنشاء في المطالع الواردة في هذا الباب بكثرة (العبيدي، م. ٢٠٠١، صفحة ٢٩٣).

وعدد القصائد الطويلة في هذا الباب تبلغ (١٧) سبع عشرة قصيدة أن الانفعال والتوتر الذي تفرزه حالة الاستجداء تقصر النفس فيغدو النفس قصيرا لذا جاءت معظم النصوص الشعرية في هذا الباب نتفاً أو مقطعات.

أما في باب المراثي فيحضر الإنشاء واضحاً في المطالع أيضاً كما ورد في مطلع قصيدة لحريث بن زيد الخيل الطائي، يقول فيه (التبريزي، صفحة ٣٢٤ / ٢):

فلا تجزعي يا أمّ أوسٍ فإنه تصيب المنايا كل حافٍ وذئ نعل

تضمّر لا الناهية أمراً، لكن المأمور ليس أيا كان إنها أمّ أوس المرأة الحياة التي أصيبت بما جعلها تحزن، فبدأ كلامه حكمة فحواها: أن كل حي آيل إلى الفناء، ويحوي هذا الباب مطالع عدة ورد فيها الإنشاء بقوة (العبيدي، م. ٢٠٠١، صفحة ٣٩٧).

وقد بلغ عدد القصائد ذات الأبيات التي تربو على السبعة (١٤) أربع عشرة قصيدة، ويعزى الأمر إلى قصر النَّفس وحالة الحزن الشديدة التي تتطلب قلة في الكلام وبالتالي قلة في عدد الأبيات. في باب الهجاء لا يختلف الأمر كثيراً عما سبق فقد برزت الأساليب الإنشائية بقوة في بعض المطالع نذكر من ذلك قول الشاعر قعنب بن أم صاحب (التبريزي، صفحة ٤٠٣):

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا مني، وما سمعوا من صالح دفنوا

هنا بدأ المطالع بالشرط والشرط يفتح أفق الدلالة على المضمرة الذي نستشفه في هذه الاستعارة المكنية من خلال الفرع الذي لا يكاد يسع من يمعون ريبة فيتحولون إلى طيور كناية عن الفرع والسرعة في آن واحد.

نرى في الباب عينه مطالع كثيرة تبدأ بالإنشاء (العبيدي م، ٢٠٠١، الصفحات ٤٠٤، ٤٠٥)، لكن عدد القصائد الطويلة نادر فهو لا يتجاوز القصيدة الواحدة؛ لأن لطبيعة الشعر دوراً مهماً في هذه القلة، فكما هو معروف فإن الهاجي يكون منفعلاً من المهجو، الأمر الذي يحتم عليه أن يكون غاضباً بنفس قصير ضيق؛ لذا جاءت المقطعات والنتف أكبر من ذلك بكثير.

وفي الإخوانيات كانت القصائد الطويلة سبعة قصائد فقط، وفي باب التعازي والتهاني بلغ عدد القصائد الطويلة ثلاث قصائد، وفي باب الاستعطاف والاستجارة والاستعطاف بلغ عدد القصائد الطويلة إحدى عشرة قصيدة، وفي باب الصفات بلغ عدد القصائد الطويلة ١٠ عشر قصائد. وكانت جل المطالع في هذا الباب خبرية، تنتهج نهج التقرير والوصف، وفي باب الشكاية من حوادث الزمان بلغت القصائد الطويلة ١٠ قصائد.

وفي باب الشكاية نقرأ نصّاً شعرياً يفتتحه الشاعر أبو منصور عبد القاهر التميمي بالأسلوب الإنشائي وقوامه الأمر، قائلاً (العبيدي م، ٢٠٠١، صفحة ٥٣١):

يا سائلي عن قصّتي دعي أمْتُ بُغْصَتِي

من الواضح أن النداء يضم حسرة وقلقاً كبيراً وتوجُّعاً في النفس، هو ينادي السائل ليأمره مظهراً قهره الشديد. ونرى في باب الشكاية مجموعة نصوص تأتي مطالعها مبتدئة بالإنشاء (العبيدي م، ٢٠٠١، الصفحات ٥٣٧، ٥٣٩)، ووردت الحكمة في جل أبيات هذا الباب، والشكوى من الآخر، وكثر الوصف في المطالع.

وفي باب الملح ومذمة النساء: غلبت المقاطع الخبرية المقاطع الشعرية الإنشائية، ونستشهد على ذلك بقول أخيل بن مالك الكلابي (العبيدي م، ٢٠٠١، صفحة ٥٣٦):

فإن يُحلفوني بالإله منحتهم يميناً كأخلاق الرداء الممزق

هنا يبدأ المطلع بالشرط بصيغة السخرية، ويخلو هذا الباب من القصائد الطويلة؛ إذ بلغ أطول المقاطع الشعرية ستة أبيات، ليكتفى فقط بالمقاطع القصيرة والنتف.

وقد ورد فيه ذكر الذات والآخر القبيلة، ومذمة النساء في رحيلهن وفي وصفاتهن وغيرها.

المصادر

- ١- ابن عقيل. (١٩٨٠). شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك (المجلد العشرون). القاهرة: دار التراث.
- ٢- ابن منظور الافريقي. (١٤١٢ هجرية). لسان العرب (المجلد الثالثة). بيروت: دار صادر.
- ٣- اسلم بن السبتي. (أكتوبر، ١٩٩٦). شعر عوف بن عطية الخرج ومصادره. التراث العربي، صفحة ٤٨٣.
- ٤- ابو العباس ثعلب، و محمد حبيب. (بلا تاريخ). ديوان ابن الدمينه. القاهرة: دار العروبة.
- ٥- ابو الفرج الاصفهاني. (١٤١٥ هـ). كتاب الاغانى (المجلد الاولى). بيروت: دار احياء التراث العربي.
- ٦- ابو القاسم جار الله الزمخشري. (١٩٩٨). اساس البلاغة (المجلد الاولى). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٧- احمد بسودي، و حفصة اولاد بن سعيدة. (٢٠١٨). العنوانة في رواية نسيان com للاحلام مستغانمي. الجزائر.
- ٨- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر.
- ٩- الامام ابي سعيد السكري. (٢٠٠٣). شرح ديوان كعب بن زهير (المجلد الثالثة). القاهرة: دار الكتب والوثائق.

- ١٠- بسام موسى قطوس. (٢٠٠١). سيمياء العنوان (المجلد الاولى). اربد - الاردن: وزارة الثقافة.
- ١١- جار الله الزمخشري. (١٩٩٣). المفصل في صناعة الاعراب (المجلد الاولى). بيروت: مكتبة الهلال.
- ١٢- جميل حمداوي. (١٩٩٧). السيموطيقا والعنونة. عالم الفكر، الصفحات ٨-٩٧.
- ١٣- خالد حسين. (٢٠٠٨). شؤون العلامات من التشفير الى التأويل. دار التكوين.
- ١٤- خالد عبد الرؤوف جبر. (٢٠٠٣). الصمة بن عبد الله القضيري حياته وشعره. عمان: دار المناهج.
- ١٥- درية الخطيب، و لطفي الصقال. (١٩٨٩). ديوان ابي الفتح البستي. دمشق: مجمع اللغة العربية في دمشق.
- ١٦- زين الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي. (١٩٩٩). مختار الصحاح (المجلد الخامسة). بيروت: المكتبة العصرية.
- ١٧- شعيب حليفي. (٢٠٠٥). هوية العلامات في العتبات والبناء والتأويل دراسة في الرواية العربية (المجلد الاولى). الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- ١٨- عبد الحق بلعابد. (٢٠٠٧). عتبات جيرار جينيت من النص الى المناص (المجلد الاولى). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- ١٩- عبد الرزاق بلال. (٢٠٠٠). مدخل الى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم (المجلد الاولى). بيروت: افريقيا الشرق.
- ٢٠- عبد القادر بن عمر البغدادي. (١٩٩٧). خزانة الادب (المجلد الرابعة). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ٢١- عبد الله الغدامي. (٢٠٠٠). النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية العربية (المجلد الاولى). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- ٢٢- عبد المجيد نوسي. (٢٠٠٢). التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية التركيب الدلالة). الدار البيضاء: شركة المدارس للنشر.

- ٢٣- عبد الملك بن محمد بن اسماعيل بن منصور الثعالبي. (١٩٨٣). يتيمة الدهر (المجلد الاول). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٢٤- علي احمد محمد العبيدي. (٢٠٠٩). العنوان في قصص وجدان الخشاب (دراسة سيميائية). دراسات موصلية، صفحة ٦٢.
- ٢٥- علي جعفر العلاق. (١٩٩٧). الشعر والتلقي دراسة نقدية (المجلد الاول). عمان: دار الشروق.
- ٢٦- علي ملاح. (٢٠١١). هكذا تكلم الطاهر وطار. الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة.
- ٢٧- فيصل الاحمر. (٢٠١٠). معجم السيميائيات (المجلد الاول). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- ٢٨- مجيد طراد. (١٩٩٢). شرح ديوان عنتره الخطيب التبريزي (المجلد الاول). بيروت: دار الكتاب العربي.
- ٢٩- محمد بازي. (٢٠١٢). العنوان في الثقافة العربية التشكيل ومسالك التأويل (المجلد الاول). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- ٣٠- محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون بهاء الدين البغدادي. (١٤١٧ هـ). التذكرة الحمدونية (المجلد الاول). بيروت: دار صادر.
- ٣١- محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي. (٢٠٠١). التذكرة السعدية في الاشعار العربية (المجلد الاول). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٣٢- محمد بنيس. (١٩٨٩). الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته التقليدية (المجلد الاول).
- ٣٣- محمد حسن آل ياسين. (١٩٥٥). ديوان السموأل. بغداد: مطبعة المعارف.
- ٣٤- مروان العطية. (١٩٩٤). ديوان الحارث بن حلزة النيشكري (المجلد الاول). دمشق: دار الامام النووي.
- ٣٥- نادر كاظم. (٢٠٠٦). الهوية والسرد دراسات في النظرية والنقد الثقافي (المجلد الاول). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- ٣٦- نذر ذيب كفافي. (أكتوبر، ٢٠٠٨). كتاب التذكرة السعدية في الاشعار العربية دراسة نقدية وصفية. مجلة العلوم الانسانية جامعة محمد خيضر بسكرة، الصفحات ٢٥٦-٢٦٠.
- ٣٧ - نصره احميد جدوع. (٢٠٢٣). اشكالية العنونة في روايات عالية ممدوح رواية التانكي انموذجا. الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة، صفحة ١٠٣.
- ٣٨- نعيمة السعدية. (٢٠٠٩). استراتيجية النص المصاحب في الرواية الجزائرية الولي الطاهر يعود الى مقامه الزاكي. المخبر، الصفحات ٢٢٥-٢٢٦.
- ٣٩- يحيى بن علي بن محمد التبريزي. (بلا تاريخ). شرح ديوان الحماسة. بيروت: دار القلم.
- ٤٠- يوسف الادريسي. (١٤٣٦هـ/٢٠١٥). عتبات النص في التراث النقدي والخطاب النقدي المعاصر (المجلد الاول). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- ٤١- يوسف عليمات. (٢٠٠٩). النسق الثقافي قراءة ثقافية في انساق الشعر العربي القديم (المجلد الاول). اربد: عالم الكتب الحديث.

Sources

- Ibn Aqeel. (1980). Explanation of Ibn Aqeel on Al-Fiyah Ibn Malik (Volume Twenty). Cairo: Dar Al-Turath.
- Ibn Manzur Al-Afriqi. (1412 AH). Lisan al-Arab (Volume Three). Beirut: Dar Sader
- Aslam bin Al-Sabti. (October, 1996). The poetry of Auf bin Attiya Al-Khara and its sources. Arab Heritage, page 483.
- Abu Abbas Thalab, and Muhammad Habib. (no date). Diwan of Ibn al-Damina. Cairo: Dar Al-Orouba.
- Abu Al-Faraj Al-Isfahani. (1415 AH). The Book of Songs (Volume One). Beirut: Arab Heritage Revival House.

- Abu Al-Qasim Jar Allah Al-Zamakhshari. (1998). The Foundation of Rhetoric (Volume One). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Ahmed Bsoudi and Hafsa, sons of Ben Saida. (2018). The title in the novel "Forgetting Com" by Ahlam Mosteghanemi. Algeria.
- Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini. (1979). Dictionary of language standards. Beirut: Dar Al-Fikr.
- Imam Abu Saeed Al-Sukkari. (2003). Explanation of the Diwan of Kaab bin Zuhair (Volume Three). Cairo: House of Books and Documents.
- Bassam Musa Qatous. (2001). The Alchemy of Title (Volume One). Irbid - Jordan: Ministry of Culture.
- Jar Allah Al-Zamakhshari. (1993). Al-Mufasssal fi Sanat Al-A'rab (Volume One). Beirut: Al-Hilal Library.
- Jamil Hamdawi. (1997). Semiotics and addressing. World of Thought, pages 8-97 -
- Khaled Hussein. (2008). Issues of signs from encoding to interpretation. Genesis House.
- Khaled Abdel Raouf Jabr. (2003). Al-Samah bin Abdullah Al-Qudairi, his life and poetry. Amman: Dar Al-Mahraj.
- Doria Al-Khatib and Lotfi Al-Saqqal. (1989). Diwan of Abu al-Fath al-Basti. Damascus: Arabic Language Academy in Damascus.
- Zain al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qadir al-Hanafi al-Razi. (1999). Mukhtar Al-Sahhah (Volume Five). Beirut: Modern Library.

- Shuaib Halifi. (2005). The identity of signs in thresholds, construction, and interpretation: A study in the Arabic novel (Volume One). Casablanca: House of Culture for Publishing and Distribution.
- Abdelhak Belabed. (2007). Gérard Genette's Thresholds from Text to Place (Volume One). Beirut: Arab House of Science Publishers.
- Abdelhak Belabed. (2007). Gérard Genette's Thresholds from Text to Place (Volume One). Beirut: Arab House of Science Publishers.
- Abdul Razzaq Bilal. (2000). An introduction to the thresholds of the text: A study in the introductions to ancient Arabic criticism (Volume One). Beirut: East Africa.
- Abdul Qadir bin Omar Al-Baghdadi. (1997). Treasury of Literature (Volume Four). Cairo: Al-Khanji Library.
- Abdullah Al-Ghadhami. (2000). Cultural Criticism: A Reading of Arab Cultural Patterns (Volume One). Casablanca: Arab Cultural Center.
- Abdel Majeed Nusi. (2002). Semiotic analysis of novelistic discourse (discursive structures, semantic structure). Casablanca: Schools Publishing Company.
- Abdul Malik bin Muhammad bin Ismail bin Mansour Al-Thaalabi. (1983). Orphan of Eternity (Volume One). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Ali Ahmed Muhammad Al-Obaidi. (2009). The title in Wijdan al-Khashab's stories (a semiotic study). Conductive studies, page 62.
- Ali Jaafar Al-Alaq. (1997). Poetry and Reception: A Critical Study (Volume One). Amman: Dar Al Shorouk.

- Ali Mallahi. (2011). Thus spoke the pure one and flew away. Algeria: Treasures of Wisdom Foundation.
- Faisal Al-Ahmar. (2010). Dictionary of Semiotics (Volume One). Beirut: Arab House of Science Publishers.
- Majeed Trad. (1992). Explanation of the Diwan of Antara Al-Khatib Al-Tabrizi (Volume One). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- Muhammad Bazi. (2012). Title in Arab Culture: Formation and Paths of Interpretation (Volume One). Beirut: Arab House of Science Publishers.
- Muhammad bin Al-Hassan bin Muhammad bin Ali bin Hamdoun Bahaa Al-Din AlBaghdadi. (1417 AH). Al-Tazkirah Al-Hamduniyya (Volume One). Beirut: Dar Sader.
- Muhammad bin Abdul Rahman bin Abdul Majeed Al-Obaidi. (2001). Al-Tazkirah Al-Saadiya in Arabic Poetry (Volume One). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Muhammad Bennis. (1989). Modern Arabic poetry, its traditional structures and substitutions (Volume One).
- Muhammad Hassan Al Yassin. (1955). Diwan Al-Samwal. Baghdad: Al-Maaref Press.
- Marwan Al-Attiyah. (1994). Diwan of Al-Harith bin Hilza Al-Yashkari (Volume One). Damascus: Dar Al-Imam Al-Nawawi.
- Nader Kazem. (2006). Identity and narrative studies in theory and cultural criticism (Volume One). Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.

-The vow of Dhib Kafafi. (October, 2008). The Book of Sa'diyah Remembrance in Arabic Poetry: A Critical and Descriptive Study. Journal of Human Sciences, Mohamed Kheidar University, Biskra, pages 256-260.

-Nasra Ahmad Jadwe . (2023). The problem of title in Alia Mamdouh's novels, the Tanki novel, as an example. University Studies for Comprehensive Research, page 103.

-Naima Al-Saadia. (2009). The strategy of the accompanying text in the Algerian novel, Al-Waliy Al-Tahir, returns to his honorable position. Detective, pages 225-226.

-Yahya bin Ali bin Muhammad Al-Tabrizi. (no date). Explanation of the Diwan of Enthusiasm. Beirut: Dar Al-Qalam.

-Youssef Al-Idrisi. (1436 AH/2015). Text Thresholds in Critical Heritage and Contemporary Critical Discourse (Volume One). Beirut: Arab House of Science Publishers.

-Youssef Alimat. (2009). Cultural Pattern: A Cultural Reading of the Patterns of Ancient Arabic Poetry (Volume One). Irbid: Modern World of Books.